

المقدمة

يُعتبر التاريخ بمثابة الذاكرة الحية للشعوب ، وصفة من الصفات التي تميز الكائنات الحية ، فأمةٌ بدون تاريخ هي أمة لا تستحق الحياة الآدمية .

ولذلك تهتم الأمم المتحضرة بتعليم تاريخها لأبنائها ، على اعتبار أنه من خلال التاريخ يمكن استشراف المستقبل ، وغرس الروح الوطنية في نفوس المواطنين . وبالتالي اعتبروا التاريخ ، بجانب اللغة من المواد القومية التي تُدرس في كافة المراحل التعليمية بداية من رياض الأطفال حتى الدراسات الجامعية وما فوقها . ولم تستثن أى نوع من التعليم إلا وجعلت التاريخ أحد المقررات الرئيسية ، ففرّق كبير بين طبيب يدرس التاريخ ، وبالتالي عند تخرجه سوف يعتبر أن الطب رسالة ، وفرق بين من لم يدرسه فيعتبر الطب تجارة مثلاً . وقس على ذلك كل التخصصات .

والحديث عن التاريخ وأهميته يطول وقد كُتبت فيه مجلدات ، لعل من أبرزها كتاب ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون) حيث عرّف وتعرض لأهمية التاريخ . ومن الكتب الهامة التي خُصصت لإبراز أهمية التاريخ كتاب السخاوى «الإعلام بالتوبيخ، لمن ذمّ علم التاريخ» وغيرها الكثير .

وانطلاقاً ، من أهمية علم التاريخ ، وأهميته في حياة الإنسان ، نجد أن القرآن الكريم قد أشار لأهمية التاريخ ، حيث قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف : ١١١] ومن هنا اهتم المسلمون بتدريس التاريخ ، حتى أن علماء التاريخ كانوا هم أنفسهم علماء الحديث .

أقول هذه المقدمة من واقع ألمنى ، فحينما كنت فى طريقى للمنزل وأثناء ركوبنا الحافلة ، مررت بأحد المساجد الأثرية ، وهو على وجه التحديد جامع أحمد بن طولون . ولفت نظرى وجود رجل يرتدى ملابس غالية الثمن ، وتبدو على ملامح وجهه أنه يشغل عملاً هاماً ، من الممكن أن يكون فى حقل التعليم . وبجواره شاب لا يقل عنه أناقة فى الملبس ، ولا فى سمات الثقافة التى تبدو على وجهيهما .

فسأل الشاب وهو يقرأ اليا فطة متعجباً : مَنْ هو أحمد بن طولون ؟ فسكت الرجل ، ثم تحدث ولَيْتَهُ ما فعل ، فقد قال له : لا أعرف أصل دى آثارات . وباليته لم يكن يعرف فقط ، ولكن نطقه كلمة آثار خطأ . مما جعلنى أحس أن الدم يغلى فى عروقى ، فهذا الرجل لو كان نظر حتى فى كتاب من الكتب الدراسية لأدرك من هو ابن طولون ؟

وأعتذر للقارئ على طول المقدمة نسبياً ، ولكن لكى أوضح أهمية صدور كتاب يتناول بصورة مبسطة تاريخ مصر ، نعم نحن نعلم أن تاريخ مصر غنى ، ولا تكفيه المجلدات تلو المجلدات . ونعلم أيضاً أن من يتصدر لكتابة تاريخ مصر من أقدم العصور حتى العصر الحديث أشبه بمن يريد أن يعبئ نهر النيل فى زجاجة ، وهذا من المستحيل طبعاً ، ولكن هى مجرد محاولة نتمنى أن يُكتب لها النجاح إن شاء الله سبحانه وتعالى .

منهج الكتاب

وقد اتبعت منهجًا يقوم على تقسيم الكتاب إلى عدة فصول : تناول الفصل الأول ملامح تاريخ مصر في العصر القديم حتى عصر الرومان .

أما موضوعات الفصل الثانى فتناولت الحضارة الفرعونية على مختلف مجالاتها سواء العمارة والفنون والحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية .

وبالنسبة للفصل الثالث فقد تناول تاريخ مصر منذ الفتح العربى حتى انتهاء عصر الولاة ، ويشمل موضوعات : وهى علاقة العرب بمصر قبل الإسلام ، ثم الفتح ، ثم عصر الولاة سواء فى عهد الخلفاء الراشدين ، أو عهد الدولة الأموية ، أو عهد الدولة العباسية .

والفصل الرابع تناول الدول التى قامت فى مصر مبتدئة بالدولة الطولونية ، والدولة الإخشيدية ، والدولة الفاطمية ، والدولة الأيوبية ، ودولة المماليك الأولى والثانية ، والفتح العثمانى لمصر .

أما الفصل الخامس فكانت موضوعاته عن الحملة الفرنسية على مصر ، وعصر محمد على وخلفائه ، مرورًا بالأحداث التى واجهت مصر حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م .

أما الفصل السادس فتناول موضوعات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م ومعركة سنة ١٩٥٦م ، ومعركة سنة ١٩٦٧م ، وحرب أكتوبر حتى معاهدة السلام .

وفي النهاية أتمنى أن يجد الكتاب قبولاً لدى القراء ، وهو على العموم عمل متواضع الغرض منه جمع الموضوعات التاريخية المبعثرة في بطون الكتب ، تسهيلاً على القارئ للإلمام بتاريخ مصر .

عبد النعيم ضيفى عثمان

القاهرة في ٥ / ٣ / ٢٠٠٧ م